الصهيونية المسيحية والقرار الأمريكي

شاهر إسماعيل الشاهر(*)

مقدمة:

تعد الصهيونية المسيحية المحرك الأساس للسياسة الخارجية الأمريكية الحالية في المنطقتين العربية والإسلامية، ذلك أن الرئيس بوش ومعظم أعوانه ومستشاريه من أتباعها. وتسعى الصهيونية المسيحية لضرب كل مشروع حواري ما بين الإسلام والمسيحية، وتبرر أطروحات صراع الحضارات والأديان، ولاسيما المسيحية والإسلام، ومن ثم تستهدف ضرب العيش المشترك الإسلامي المسيحي في الوطن العربي.

إن الصهيونية والمسيحية نقيضان، فالصهيونية الأمريكية تسعى لاستخدام المسيحية قناعا ووسيلة لتبرير مشاريعها وأطماعها. وإن هذه الظاهرة إذا ما استمرت وتعمقت فإنها ستترك آثارا كبيرة داخل المجتمع الأمريكي نفسه، كما سيكون لها أبعادها في السياسة الخارجية الأمريكية، بخاصة في إطار الهيمنة الثقافية والقيمية والأخلاقية، ولعل هذا النوع من الهيمنة قد يدفع في اتجاه إدخال الاصطفاء الإلهي في السياسة الدولية.

ومنذ نشأة الولايات المتحدة ودور الدين في الحياة العامة موضوع مثير للجدل، وقد ازداد بعد صعود اليمين الديني بوصفه قوة سياسية في الولايات المتحدة؛ إذ نص البرنامج السياسي للحزب الجمهوري في ولاية

(*) طالب دكتوراه، علاقات دولية، كلية الاقتصاد، جامعة حلب.

تكساس في عام ٢٠٠٦م على أن أحد أهدافه هو تبديد أسطورة "فصل الدين عن الدولة".

وما الإدارة الأمريكية الحالية إلا تعبير عن اليمين المتشدد في بعديه السياسي والديني. وتعد هذه الحقيقة نتيجة التلاقي بين أنصار اليمين المتشدد سياسيا وأنصار اليمين الديني الذين تحركوا في المجال العام بوصفهم حركة دينية ذات توجهات سياسية، أو بالأحرى لديها مشروع سياسي.

هدف البحث:

إن هدف هذا البحث هو الإشارة إلى أن علمانية الدولة كما ورد في نص الدستور الأمريكي لم تمنع من التأثير القوي للدين في الولايات المتحدة. فالولايات المتحدة دولة علمانية، لكن الشعب الأمريكي شعب متدين. ولعل قوة الدين تعود إلى الفصل بينه وبين المؤسسات السياسية.

مشكلة البحث:

إن فهم المسار التاريخي الذي أدى إلى تهود المسيحية البروتستانتية، هو المدخل الصحيح لفهم السياسة الأمريكية في فلسطين والعالم الإسلامي بشكل عام. فالوقوف عند المظاهر السياسية والانتخابية لهذه السياسة لم يعد مجديا اليوم، وتفسيره بمجرد ذكاء الأقلية اليهودية في أمريكا تفسير سطحي لظاهرة تاريخية عميقة ضاربة الجذور متأصلة في وجدان الشعب الأمريكي وأخلاقه وديانته ومعتقداته. فكيف تحول اليهود ومن أمة ملعونة إلى أبناء الرب، ومن أمة مدنسة ظلمها المسيحيون إلى أمة مقدسة يظلم بها المسيحيون شعوبا أخرى؟

فرضية البحث:

إن الدوافع الدينية تلعب دورا رئيسا في تحريك الأمريكيين في كثير من مواقفهم، إضافة إلى أن العوامل الدينية تعد من أكثر العوامل المؤثرة في

الاختيار السياسي والسلوك الانتخابي. وما الدعم الأمريكي لإسرائيل إلا انعكاس لاعتبارات دينية تعد إسرائيل مشروعا إلهيا لا يقبل الإدانة والنقد.

منهج البحث:

حاول الباحث وضع إطار نظري لفهم مسيرة حركة الصهيونية المسيحية، وتحولها من النشاط الديني البحت إلى النشاط الديني السياسي؛ لذا فقد استخدم الباحث المنهج التاريخي في استعراضه لنشوء الصهيونية المسيحية وتطورها، وكذلك المنهج التحليلي لتفسير ما لاحظه من دوافع وأفعال وتعليلها.

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع؛ وأهمها: كتاب بعنوان: "الدين في القرار الأميركي" للكاتب محمد السماك الذى تناول الأسرار الخفية وراء الدعم اللامحدود واللامنطقي الذي تقدمه الولايات المتحدة للكيان الصهيوني. ويبين أن المسيحية الصهيونية هي المحرك الأساس للسياسة الأميركية الحالية في المنطقتين: العربية والإسلامية؛ لأن الرئيس بوش الابن ومعظم أعوانه ومستشاريه من أتباعها.

وكذلك كتاب بعنوان: "الإمبراطورية الأمريكية: ثلاثية الثروة – الدين– القوة" للدكتور سمير مرقس. ويهدف هذا الكتاب إلى قراءة أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م والرد الأمريكي في إطار الرؤية الأمريكية التاريخية للعالم، مع الإشارة إلى دور المسيحية الصهيونية في تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية، بوصفها جماعة ضغط أولا منذ إدارة ريجان، وبوصفها مشاركا في الحكم مع وصول الرئيس بوش الابن إلى مقعد الرئاسة الأمريكية.

وتسعى هذه الدراسة لتوضيح ازدياد تأثير الصهيونية المسيحية في القرار السياسي الأمريكي، في ظل إدارة الرئيس بوش الابن الحالية.

عرض الموضوع:

تمثل قضية الدين واحدة من أهم القضايا في المجتمع الأمريكي، فبرغم أن الدستور الأمريكي وتعديلاته تؤكد العلمانية والفصل بين الدين والدولة؛ فإن الدين كان وما زال يمثل عنصرا أساسيا من عناصر خصوصية المجتمع الأمريكي. فالحياة الأمريكية تخضع لنظام من القيم يتفاعل داخله كثير من الأديان، لكن بدرجات مختلفة، تفصل بينها مسافات اجتماعية واتجاهات مذهبية وفكرية تؤكد هذه التعددية[1].

وقد استطاع الباحث تحديد ست جماعات دينية سياسية ذات آراء متميزة؛ هي:

١- البروتستانت الليبراليون: وهم يسعون لبناء ائتلاف من الجماعات ذات الفكر المتشابه، ولديهم استعداد لمناقشة السياسة القومية في الشئون الخارجية.

٢- الأصوليون: يدافعون عن القيم التقليدية كالأسرة التقليدية والوطنية بمفهومها التقليدي.

٣- الكاثوليك: يهتمون بقضايا تهميش المهاجرين وحقوقهم؛ وذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية كنيسة مهاجرين.

٤- اليهود: يؤيدون عادة البروتستانت الليبراليين في كثير من القضايا؛ منها السياسة الخارجية والعسكرية.

٥- البروتستانت الإنجيليون: يؤيدون البروتستانت الليبراليين واليهود في كثير من القضايا.

٦- الإنجيليون السود: ينشدون الحقوق المدنية والعدل للسود والأقليات الأخرى والجماعات المحرومة على السواء.

ولابد من الإشارة إلى أن جماعات المصالح الدينية المذكورة سابقا لا تتمتع بالتناغم في رؤاها، فهي تضم الصفوة، وأفراد الدوائر الانتخابية المختلفة.

لقد حمل المهاجرون الجدد البيوريتانيون (التطهريون) العقيدة البروتستانتية التي كانوا يحاولون تطبيقها في إنجلترا. لكنهم طردوا واضطهدوا، فهاجروا إلى أمريكا التي أسموها (إنجلترا الجديدة). ولأن المهاجرين الجدد كانوا من البروتستانت فقد كانوا قوة غالبة، فسادت كنيستهم وساد مذهبهم(٢).

إن اهتمام السياسة الخارجية الأمريكية بالشرق الأوسط ليس جديدا، فمنذ القرن التاسع عشر كانت المنطقة أرض تبشير لكثير من الكنائس البروتستانتية، وبعضها لم يكن ينظر بعين الرضا إلى إنشاء "دولة إسرائيل". أما المجموعات الأصولية التي تقرأ النصوص المقدسة قراءة حرفية، فقد رأت في قيام الدولة العبرية تحقيقا للنبوءات التوراتية.

العلاقة بين الدين والدولة في الولايات المتحدة الأمريكية:

إن دور الدين موجود منذ البدايات الأولى لتكوين المجتمع، فأصل المجتمع الأمريكي يعود إلى تلك المستعمرات التي أسسها (البيوريتان) الفارون

من الاضطهاد الديني في أوربا الغربية حتى يعبدوا الله على طريقتهم الخاصة في الدنيا الجديدة التي طالما حلموا بها[١].

فالمجتمع الأمريكي مجتمع من المهاجرين كان الدين جزءا من تكوينه الأيديلوچي.

لقد كانت مغامرة كريستوف كولومبوس لاكتشاف أمريكا عام ١٤٩٢م، مغامرة دينية في الأساس. كما أن الدستور الأمريكي تأثر بالفكر الديني. فمبدأ الفصل بين السلطات، وفكرة الضبط والتوازن بين الكونجرس والرئاسة تعود إلى اعتقاد البيوريتانيين (التطهريين) في ازدواجية الطبيعة الإنسانية؛ أي الكمال (السمو) من جهة، والنقص منذ الخطيئة الأولى من جهة أخرى[٣].

فالمسيحية هي الديانة الأولى في الولايات المتحدة[*]، والمذهب الرئيسي هو البروتستانتية الذي ينقسم إلى عدة طوائف، أكبرها هي الطائفة المعمدانية التي يأتي منها دائما رئيس الجمهورية. ولم يتقلد هذا المنصب سوى رئيس كاثوليكي واحد هو جون كندي عام ١٩٦١[٤].

لقد شعر البروتستانت بمزاحمة الكاثوليكية؛ وهو الأمر الذي دفعهم إلى المطالبة بتطبيق المبدأ النظري بفصل الدين عن الدولة. وقد تم لهم ذلك حين تقرر إدخال مبدأ الفصل في صلب الدستور الأمريكي، وهو الذي عد التعديل الدستوري الأول عام ١٧٨٩م[٢].

(*) ثم اليهودية يليها الإسلام.

"ولا يوجد دين رسمي ولا كنيسة رسمية"، (وضع هذا النص توماس جيفرسون الذي أصبح الرئيس الرابع للولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنه خشي أن تفرض إنجلترا مذهبها المسيحي وكنيستها[٣].

كما تمتنع الدولة عن تمويل أية مؤسسة دينية من الخزانة العامة، ولا تمول الدولة المدارس الدينية من المال العام، حتى لا ترسخ دينا أو مذهبا معينا[٣].

إن الانفصال بين الدين والحياة السياسية في التقاليد الغربية هو انفصال نظري، صاغه الفقه الغربي في محاولاته لإيجاد حل للمشكلات السياسية التي كانت تعاني منها الدول الغربية في العصور الوسطى نتيجة لمبالغات الكنيسة الكاثوليكية في ممارساتها السياسية. وإن هذا الانفصال لم تتقبله المرجعية الأصلية لثقافة هذه المجتمعات؛ لتعارضه مع التصور القائم للعلاقات السياسية التى تشكل القيم المسيحية أحد أهم عناصره، ولتجاهله لواقع الحركة السياسية والاجتماعية الغربية التي يلعب الدين دورا مؤثرا في تشكيلها وتوجيهها.

إن الدين في الولايات المتحدة يتزاوج بين قراءتين؛ هما:

١ – الدين المدني: وهو مجموعة من الطقوس والرموز الدينية وشبه الدينية التي تطبع الحياة الأمريكية.

٢– والدين المتدين: الذي يتشكل في جماعات وكنائس مختلفة؛ إذ يبدو أن الصراع يتركز بين الجماعات المختلفة في إطار دائرة التأثير في حقل الدين العام، وهو حقل معقد تلعب فيه العناصر الدنيوية دورا موازيا للعناصر الدينية[٥].

وعلى الرغم من أن دستور الولايات المتحدة ينص على فصل الدين عن الدولة؛ فإن دور الدين لم يغب عن القرار السياسي الأمريكي، خاصة عندما يتعلق الأمر بالشرق الأوسط.

ومن الطرق التي أصبح فيها الدين منخرطا في الحياة السياسية الأمريكية، عمل الجماعات الدينية بوصفها جماعات مصالح، ومحاولتها التأثير فى المسار السياسي بأساليب متنوعة. وتظهر الكتب ذات الموضوعات الدينية في قائمة الكتب الأكثر مبيعا، كما أن هناك مئات المواقع الأمريكية على شبكة الإنترنت مخصصة للدين، وأصبحت المنظمات الدينية المحافظة – الأصولية بوجه خاص – أكثر فاعلية في السياسة، فى خلال العقود الماضية.

ففي الولايات المتحدة (الدولة العلمانية التي ينص دستورها على فصل الدين عن الدولة) ١٤٠٠ محطة دينية، يعمل بها ٨٠ ألف قسيس إنجيلي، أكثرهم من أتباع هذه المدرسة التي تعد إسرائيل تجليا إلهيا وتجسيدا لنعمه من أجل خلاص بني البشر[٦].

المجتمع الأمريكي مجتمع علماني، والمجتمع العلماني بوجه عام يرفض المؤسسة الدينية أو يفصل بينها وبين الدولة، لكنه لا يرفض القيم الدينية الضابطة للمجتمع[٤].

كما أن اهتمام المجتمع الأمريكي بالدين هو اهتمام على المستوى الفردي، فالدين قضية فردية تماما، وهذا عكس التدين في المجتمعات الشرقية أو الإسلامية التي يغلب فيها التدين الجماعي[٤].

الصهيونية المسيحية:

يقصد بهذا الاسم أنه إضافة إلى وجود حركة صهيونية يهودية، فإنه توجد حركة صهيونية مسيحية. والصهيونية المسيحية هي حركة دعوة دينية مسيحية، تدعو إلى العصمة الحرفية للكتاب المقدس والعودة الحقيقية للمسيح، وقيام حكمه الألفي الذي تكون القدس عاصمته[٧]. وصهيونيتها تأتي من دعوتها إلى وجوب عودة اليهود إلى أرض الميعاد (فلسطين)، تحقيقا للنبوءات التوراتية التي يؤمن بها المسيحيون.

وإضافة إلى هذا الاسم (الصهيونية المسيحية) فإنه يطلق عليها أحيانا أسماء أخرى؛ مثل: "الأصولية المسيحية" أو "الأصولية الإنجيلية" أو "الصهيونية غير اليهودية".

وتلتقي الحركتان الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية عند مشروع إعادة بناء الهيكل في الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى[٨]؛ لأنهم يرون أن من يهيمن على جبل الهيكل يهيمن على القدس، ومن يهيمن على القدس يهيمن على أرض إسرائيل[٨].

نشأة الصهيونية المسيحية:

انبثقت الصهيونية المسيحية الأمريكية منذ العقد الخامس في القرن التاسع عشر؛ أي قبل صهيونية هرتزل بعقود[٩].

وأول من استخدم كلمة "الصهيونية" في العصر الحديث كان ناثان بيرنباوم عام ١٨٩٢م، ونشر كتاباً بعنوان: "الانبعاث القومي للشعب اليهودي في وطنه بوصفه حلا للمشكلة اليهودية"، وذلك في عام ١٨٩٣م[١٠]. أما تعبير

"الصهيونية المسيحية" فكان أول من استخدمه تيودور هرتزل في وصفه لمؤسس الصليب الأحمر الدولي هنري دونانت. وكان دونانت من الأثرياء الذين مدوا يد العون إلى الحركة الصهيونية اليهودية، وكان واحدا من شخصيات مسيحية قليلة دعيت إلى المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بال السويسرية في عام ١٨٩٧م[٦].

ويعد جون نلسون داربي الأب الشرعي للحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة[١١].

ولما بنيت حركة الإصلاح الديني البروتستانتي من تحويل اليهود إلى البروتستانتية، تبنت الدعوة عودة اليهود إلى فلسطين للتخلص منهم. وكان في ذلك إعلان نشأة المسيحية الصهيونية[٩]. ويعرف الصهيوني المسيحي بأنه المسيحي الذي يقدم الدعم للحركة الصهيونية[١٢]. ويعد ويليام بلاكستون (١٨٤١ – ١٩٣٥م) الممول والرحالة والمبشر الإنجيلي من أبرز المسيحيين الصهيونيين الأمريكيين الذين أطلقوا تلك الحركة، وهو الذي قال في خلال زيارته إلى فلسطين للحج عام ١٨٨٨م الشعار المشهور: "إن فلسطين أرض بلا شعب، ويجب أن تعطى لشعب بلا أرض"[٧].

لقد أخذت الأصولية المسيحية تتشكل مع بدايات القرن العشرين، وتبلورت فكريا في أعقاب نشر سلسلة من اثني عشر مجلدا تحت عنوان (الأصول)، تضم تسعين مقالا، حررها مختلف اللاهوتيين البروتستانت المعارضين لكل تسوية أو حل وسط[٢].

ويعد عام ١٩٤٢م نقطة تحول مهمة في تاريخ الأصولية البروتستانتية؛ إذ تأسست (الرابطة الوطنية للإنجيليين)، وتعد هذه الرابطة الكيان التنظيمي الذي يضم تحت مظلته آلاف الكنائس الأصولية في أمريكا[٢].

ومع نهاية السبعينيات ساعدت التقلبات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع الأمريكي على تهيئة الأرض الخصبة للمجموعات الدينية المتعصبة؛ مثل: الأكثرية الأخلاقية، كما حصلت متغيرات داخل الطائفة اليهودية الأمريكية، وأصبح هناك كثير من النقاط المشتركة التي تجمعها مع اليمين المسيحي.

فحركة المسيحية الأصولية لم تتحول إلى حركة سياسية بالمعنى الدقيق إلا في السبعينيات؛ إذ لم تسع إلى السلطة (سواء كانت تنفيذية أو تشريعية) قبل السبعينيات[٣]. ثم توالى صعود اليمين المسيحي في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، حتى أصبح قوة مؤثرة في انتخابات الرئاسة والكونجرس؛ إذ أصبح يستحوذ على ٢٥% من القاعدة التصويتية في الولايات المتحدة (أي حوالي ١٠ أضعاف الأصوات اليهودية)[٣].

الأسس الفكرية للصهيونية المسيحية:

كانت العلاقة بين البروتستانت واليهود حميمة، وعلى النقيض تماما كانت العلاقة بين البروتستانت والكاثوليك.

لقد احتلت فلسطين بوصفها وطنا لليهود مكانة خاصة لدى البروتستانت. وأصبح هناك ميل بروتستانتي قوي للاعتقاد بأن معنى المسيح المنتظر يجب أن ينتظر عودة الدولة اليهودية.

كما مال البروتستانت والتقوا عمليا مع الحركة الصهيونية في مبادئها[٢]، وتأثر المهاجرون الجدد البروتستانت باليهودية. ويعود ذلك إلى أن المهاجرين الجدد رأوا أن العالم الجديد هو القدس الجديدة؛ إذ يرون أن تجربتهم مشابهة لتجربة العبرانيين الذين ذكروا في التوراة. فأصبحت أمريكا لديهم كنعان الجديدة. فالعبرانيون القدامى فروا من مصر من عبودية فرعون، وهم فروا من ملك إنجلترا جيمس الأول بحثا عن ملاذ من الاضطهاد الديني، وأطلق المهاجرون الجدد أسماء عبرانية على الأماكن التي يغدون إليها، وكذلك أطلقوا أسماء عبرانية على المواليد الجدد، كما أن أول شهادة دكتوراه منحتها جامعة هارفارد في عام ١٦٤٢م كانت حول موضوع (العبرية هي اللغة الأم)، وكان أول كتاب يصدر في أمريكا هو (سفر المزامير)، وأول مجلة صدرت حملت عنوان (اليهودي)، إضافة إلى تعليم اللغة العبرية في المدارس والجامعات[٣].

وتنطلق الصهيونية المسيحية من مجموعة من الثوابت العقائدية؛ أهمها[٦]:

١. أن الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار، يعني وجوب الالتزام بدعم إسرائيل ومساعدتها، ليس بوصف ذلك عملا سياسيا، إنما بوصفه واجبا دينيا؛ لأن الله هو الذي اختار، وعلى الناس أن يحترموا ويقدروا هذا الاختيار، وذلك باحترام إسرائيل وتقديسها.

٢. أن الإيمان بأن الله منح الشعب اليهودي الأرض المقدسة (فلسطين)، لا يعني تأييد قيام إسرائيل فحسب، إنما يعني مساعدتها على إقامة المستوطنات، وعلى تهويد الضفة الغربية والسامرا.

٣. أن الإيمان بأن القدس هي جزء من الأرض الموعودة للشعب اليهـودي، يعني مساعدة إسرائيل على الحصول على اعترافات عالمية بضم القدس وتهويدها، بوصفها عاصمة أبدية لها.

٤. أن الإيمان بأن من شروط العودة الثانية للمسيح بناء الهيكل، يعني تمويل مشروع بناء الهيكل، ويعني قبل ذلك إزالة العقبات التي تحول دون بنائه، وفي مقدمتها وجود المسجد الأقصى في الموقع الذي يجب أن يقوم عليه الهيكل.

٥. أن الإيمان بحتمية معركة هرمجيدون التي تسبق بالضرورة العودة الثانية للمسيح، يعني تعطيل مساعي التسوية والسلام، ودفع الأمور في الـشرق الأوسط بصورة دائمة نحو الاضطراب، ونحو العداء المتبادل بين العرب واليهود. فالسلام يعطل هرمجيدون، ومن ثم فهو يؤخر العودة المنتظرة، أما الصراعات فإنها تمهد لهرمجيدون وتعجل بالعودة.

لقد آمنت الصهيونية المسيحية قبل تأسيس "دولة إسرائيل" بعودة اليهود بوصفهم شعبا إلى الأرض الموعودة في فلسطين، وإقامة كيانه الوطني فيهـا، تمهيدا للعودة الثانية للمسيح، وتأسيسه مملكة الألف عام. وأخذت الـصهيونية المسيحية تنظر إلى إسرائيل بعد قيامها علـى أنهـا حـدث وإشـارة تؤكـد معتقداتها[٢].

فاحتلال القدس لم يزل الخطوة قبل الأخيرة لنهاية التاريخ، فـالخطوة الأخيرة هي إعادة بناء المعبد القديم (الهيكل) فوق موقعه التاريخي القـديم... وهو المكان نفسه الذي توجد فيه الآن قبة الصخرة[٩].

إن اليمين المسيحي يؤمن بضرورة تحول اليهود إلى المسيحية قبل مجيء المسيح حتى يشملهم الخلاص، بعد بناء الهيكل. وذلك ما يفجر التناقض – أحيانا – بين اللوبي اليهودي واليمين المسيحي[٩].

وترى هذه الحركة أن القوانين الدولية لا تطبق على إسرائيل؛ لأن إسرائيل تختلف عن كل الكيانات السياسية الأخرى في العالم، من حيث إن وجودها هو تجسيد لإرادة إلهية، وليس استجابة لحاجة إنسانية. لذا فإن ما يجب أن يطبق على إسرائيل هو الإرادة الإلهية التي وردت في الكتب المقدسة، وأبرزها الوعد الإلهي لشعب الله المختار[٦].

إن ملايين البروتستانت الأمريكيين يدعمون إسرائيل عن إيمان كامل بأن دعم أمريكا لإسرائيل هو السبيل الأساسي لبقاء أمريكا السياسي والروحي. فالتزام هؤلاء بالدولة اليهودية ينبني على النبوءات التوراتية والإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار[٣].

وتعتقد الصهيونية المسيحية بأن النهاية المأساوية للتاريخ سوف تتم في العام الأول من الألفية الثالثة، لذلك كان لأحداث ١١ أيلول ٢٠٠١م صدى هز المشاعر الدينية للمؤمنين بالنهاية الكارثية للتاريخ[٦].

وترى الباحثة الأمريكية جريس هالسل أن اليمين المسيحي مستعد – بل راغب بكل قواه – في إشعال حرب نووية بشأن إسرائيل تحقيقا للنبوءات المقدسة[١٣].

والواقع أن هاجس الألفية ليس مسيحيا فحسب، إنه يعود إلى ما قبل المسيح بعدة قرون، وربما إلى زرادشت في عام ١٣٠٠ ق.م. وكان هذا الاعتقاد متداولا في الثقافة الفرعونية، وفي ثقافة ما بين النهرين، وكذلك في

الثقافة الهندية، وفي نهاية القرن السادس عشر لم يعد غريبا حتى عن الثقافة الإسلامية[٦].

فمن خلال هذه الأدبيات أصبح الإيمان بمساعدة اليهود على إقامة دولتهم في فلسطين نوعا من العبادة التي تعبر عن المشاركة الإنسانية في تحقيق الإرادة الإلهية.

تأثير الصهيونية المسيحية فى القرار السياسي الأمريكي:

استخدمت الإدارات الأمريكية المتلاحقة الحس الديني ومصطلحاته لتحقيق أهدافها؛ وهو مما يؤكد العلاقة بين الدين والسياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية.

إن تزايد دور الدين في الحياة السياسية الأمريكية ترتب عليه تحول الكنائس ورجال الدين إلى جماعات ضغط قادرة على التأثير بفاعلية ومقدرة في عملية صنع القرار السياسي، خاصة ما يتعلق بمصالح رعاياها أو بتصوراتها للمثل والمبادئ والأخلاقيات المسيحية[٤].

ومشروع اليمين المسيحي يحمل مبدأ الهيمنة الأمريكية، وفيه أيضا مبدأ الاستعلاء، ليس على غير المسيحيين فحسب، بل أيضا على مسيحيي الشرق الذين يعدون أيضا من البربر. وهو ما يعني أن النظرة الاستعلائية لا تفرق كثيرا بين المسلمين والمسيحيين. ومن ثم لا يوجد اختلاف بين اليمين المسيحي واليمين العلماني فيما يخص الهيمنة، وفيما يخص استخدام القوة العسكرية أيضا. فاليمين المسيحي يتصور أن يكون العالم كله تحت قيادة المسيحية الأمريكية، وكذلك يتصور اليمين العلماني العالم تحت قيادة القوى الأمريكية.

إذا هناك نزعة للهيمنة يتفق عليها التياران. غير أن اليمين المسيحي له بعض المشكلات الحاسمة مع العلمانية الأمريكية. فهو يقف ضد الشذوذ والإجهاض (وقد ارتكبوا جرائم قتل ضد أطباء يجرون عمليات إجهاض). وهو ضد العلمنة في المدارس، وضد العلمانية السائدة في الحضارة الغربية؛ وهو ما يعني أن هناك نوعا من عدم التوازن والاضطراب داخل بنية المجتمع الأمريكي.

وتعد الكنائس البروتستانتية كنائس الطبقة العليا الحاكمة على مدى أكثر من مائتي عام من عمر أمريكا. ويعد تأثيرها كبيرا في صياغة السياسة الأمريكية[٢]. وقد نجحت المنظمات المسيحية الصهيونية في ترويج الاعتقاد بأن دعم أمريكا لإسرائيل ليس التزاما سياسيا فحسب، وإنما رسالة إلهية، بسببها يبارك الرب أمريكا[٩].

وهكذا فإن دعم اليهود وتأييدهم ومساعدتهم لا يتم من أجل اليهود لأنهم يهود، إنما من أجل توفير الشروط اللازمة للعودة الثانية للمسيح.

ومن أجل ذلك فقد تحول أول قنصل أمريكي في القدس (وارد كريسون) من المسيحية إلى اليهودية[١٥].

وجرت أول محاولة لتدخل اليهود في السياسة الخارجية الأمريكية عام ١٨٤٠م، حين اختفى طفل مسيحي في دمشق، فاتهم المسيحيون العرب اليهود باستخدام الدم المسيحي في صنع فطائر تعد بمناسبة عيد الفصح اليهودي.(**)

(**) انظر: رواية (دم لفطير صهيون)، نجيب الكيلاني، بيروت: دار النفائس.

كما أن مصادقة الرئيس الأمريكي ويلسون على وعد بلفور كانت نابعة من اعتقاده المسيحي الصهيوني[١٦].

ومنذ عام ١٩٧٠م تقريبا، استطاعت الحركة الأصولية البروتستانتية أن تلعب دورا مؤثرا في الحياة السياسية الأمريكية، واستعادت المفاهيم والتصورات النظرية النقية التي طرحتها الأصولية في بدايات القرن، وصبغتها بأبعاد سياسية، واستخدمتها في الواقع السياسي الأمريكي، بل وامتدت لتشمل السياسة الخارجية الأمريكية.

ومع انتخاب رونالد ريجان عام ١٩٨٠م قام بتعيين عدد من الأصوليين في حكومته، في حين كان المحافظون الجدد يقومون بدور مثقفي البلاط.

كما انخرط اليمين المسيحي في عمليات خارجية، على نحو ما ظهر في فضيحة (إيران – كونترا)، وإسقاط حكومة ساندينستا في نيكاراجوا، وتأييد الحكم العسكري في السلفادور، ودعم حكم كورازون أكينو في الفلبين، وتأييد النظام العنصري في جنوب إفريقيا[٣].

ولعل أخطر ما شهدته سنوات الثمانينيات من القرن الماضي في الولايات المتحدة، هو التحالف بين اليمين المسيحي من ناحية، واليمين الجديد في الحزب الجمهوري من ناحية أخرى؛ إذ وجد اليمين المسيحي طريقه إلى داخل الحزب الجمهوري متحالفا مع اليمين السياسي.

وفي عهد الرئيس بوش الأب تراجعت هذه الجماعات ظاهريا فقط، فمع أن المحافظين الجدد واليمين المسيحي باتوا أقل ظهورا؛ فإنهم كانوا مستمرين في التأثير في الوضعين السياسي والأيديولوجي.

وفى خلال عهد كلينتون، وبسبب فضائح الرئيس خصوصا في المعركة القانونية لإقصائه، اجتمع من جديد المحافظون واليمين الأصولي في رابطة للدفاع عن الفضيلة في أحسن تمويل وأفضل تنظيم.

ومن الأسماء البارزة في هذا التيار:

القس روبرتسون الذي يملك عدة مؤسسات إعلامية، تلفزيونية وإذاعية، ويسخرها من أجل الدعاية الصهيونية. وهو من أبرز جماعات الضغط لصالح إسرائيل. وكذلك القس جيري فوريل، وفرانكلين جراهام ووالده بيلي جراهام. وكان بيلي قسيسا للرؤساء الأمريكان، منذ نيكسون في الستينيات من القرن الماضي حتى كلينتون، أما فرانكلين الابن فهو قسيس الرئيس الحالي بوش الابن.

وقد أشار القس ريجانز إلى موقف هذه الحركة من عملية السلام بقوله: إن اتفاقات السلام هي خيانة لله ولنواياه نحو الشعب اليهودي ... فالسلام كاذب؛ لأن جذوره تنطلق من الشيطان[٢٧].

وفي يوم الثلاثاء ٢٤ تشرين الأول ١٩٩٥م، اتخذ الكونجرس الأمريكي قرارا باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل، وبنقل مقر السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس. وقد أعد السيناتور بوب دول هذا المشروع بهدف كسب تأييد هذه الحركة في معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية التي كان يخوضها ضد بيل كلينتون.

إن قرار الكونجرس بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس تم بضغط من حركة الصهيونية المسيحية، وكذلك قرار الكونجرس بالموافقة على

اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل. وهذا يدل على مدى قدرة الحركة الصهيونية المسيحية على التأثير في صناعة القرار السياسي الأمريكي.

وقبل الحرب الأمريكية على العراق، صب قساوسة الصهيونية المسيحية جام غضبهم على الانتفاضة الفلسطينية، ووقفوا ضد أية تسوية سياسية، انطلاقا من إيمانهم بأن السلام والأمن والاستقرار في الشرق الأوسط يتعارض مع مستلزمات العودة الثانية للمسيح، وفي مقدمتها حتمية معركة هرمجدون[٦].

لقد تمكن اليمين الإنجيلي، المتمثل في الحركة الصهيونية المسيحية والمهيمن على القرار السياسي الأمريكي من إقناع الرئيس بوش الابن بأن للولايات المتحدة مهمة تجعل من قواتها (جند الله في أرضه)، وأن أول خطوة في هذا السبيل، هي إزالة الدول المارقة المتهمة بإيواء الإرهابيين الإسلاميين أو مساعدتهم، وعلى رأس هذه الدول العراق، كما يدعي بول وولفيتز نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق وريتشارد بيرل مستشاره السياسي.

ومع ذلك فقد وصف مرجعان دينيان الحرب الأمريكية على العراق بأنها (حملة صليبية)؛ المرجع الأول كان الفاتيكان، أما المرجع الآخر فكان الأزهر الشريف[٦].

ولا شك في أن هذا موقف شجاع للبابا يوحنا بولس الثاني، أما موقف الأزهر فلعله كان من الأفضل له استخدام العبارة التي استخدمها العرب في وصفهم للحملات الاستعمارية الأوربية التي تعرضوا لها وهي (حروب الفرنجة)؛ لأن ضحايا تلك الحروب لم يكونوا مسلمين فحسب، بل كانوا مسيحيين ويهودا أيضا.

الإدارة الأمريكية الحالية والصهيونية المسيحية:

لقد تزايدت قوة المؤسسات الدينية في المجتمع الأمريكي؛ إذ تتمتع بدرجة عالية من التنظيم، ولديها الإمكانات الضخمة، كما أن فى إمكانها توفير التسهيلات المادية، وتسخير الوسائل المناسبة والمتقدمة لتحقيق أهدافها[٢٨].

وفي عهد الرئيسين جورج بوش الأب وبيل كلينتون، غيب دور هذه الحركة، غير أنه عاد بشكل قوي في عهد الرئيس بوش الابن.

ومع اتساع ما عرف بحمى نهاية القرن، مثلت الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٠م العودة الكبيرة لله إلى النقاش السياسي. فأعلن الرئيس بوش الابن أن فيلسوفه السياسي المفضل هو يسوع المسيح، فى حين أعلن منافسه آل جور أنه قبل أن يتخذ قرارا يتساءل: ماذا كان ليفعل يسوع؟

وفي حملته الانتخابية أعلن المرشح الجمهوري بوش الابن أن الفيلسوف السياسي المفضل لديه هو يسوع المسيح. وألمح في لقاء تليفزيوني إلى أنه يعتقد أنه لكي يدخل الجنة، يجب أن يكون مسيحيا[٣].

ويلعب اليمين الديني المتطرف دورا أساسيا في صياغة القرارات السياسية في الولايات المتحدة، ومن أبرز شخصيات هذا اليمين:

- دوجلاس فيث: المستشار السياسي لوزارة الدفاع، ونائب الوزير دونالد رامسفيلد، وهو عضو بارز في المنظمة الصهيونية الأمريكية.
- ريتشارد بيرل: مستشار الرئيس بوش الابن لشئون الشرق الأوسط، ورئيس المجلس السياسي بوزارة الدفاع (البنتاجون)، وممثل شركة سولتام الإسرائيلية للأسلحة، وكان قد اتهم وأدين بتسريب معلومات سرية أمريكية إلى إسرائيل.

- كارل روف: المستشار السياسي للرئيس بوش الابن، وأحد أقرب المقربين إليه.
- بول وولفيتز: منظر الحرب على العراق، وأحد واضعي خطط هذه الحرب، وهو يشغل منصب نائب وزير الدفاع الذي أصبح فيما بعد رئيسا للبنك الدولي (*).
- إليون إبراهامز: مستشار مجلس الأمن القومي الذي يعد مطبخ القرارات السياسية الأمريكية، وكان قد حكم عليه بالسجن بسبب الإدلاء بشهادة كاذبة أمام الكونجرس في عهد الرئيس الأسبق رونالد ريجان، تتعلق بصفقات أسلحة لجماعة الكونترا في نيكاراجوا المؤيدة للولايات المتحدة، غير أن الرئيس بوش الابن أصدر عفوا خاصا عنه.
- ريتشارد هاس: عضو مجلس الأمن القومي، ومستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق نتنياهو، وهو من أكثر المتشددين في الدفاع عن نظرية الحرب على العراق وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط من جديد.

إن الجمع في إدارة أمريكية واحدة بين الأصوليين الإنجيليين المتصهينين، وغلاة المحافظين السياسيين المرتبطين بإسرائيل وبالحركة الصهيونية العالمية، يشكل ظاهرة فريدة تميز بها الرئيس بوش الابن دون سواه.

ويمكن قراءة موقف الرئيس بوش الابن في ضوء مواقف رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق شارون، وذلك فيما يأتي:

(*) أدين بالفساد بسبب دعمه لصديقته (شاها رضا) في الوصول إلى منصب ومرتب لا تستحقه؛ وهو ما دعا الأوربيين للمطالبة باستقالته، لكنه رفض ذلك مدعوما من قبل الرئيس بوش قبل أن يتراجع ويستقيل.

- الموقف من الأمم المتحدة وشرعيتها، ومن مجلس الأمن القومي وقراراته.
- الموقف من مبدأ اللجوء إلى الحرب، ومن توظيف التفوق العسكري لفرض الأمر الواقع على الطرف الآخر.
- الموقف من رفض المساعي الدبلوماسية، ومحاولة إملاء التسوية بالقوة العسكرية وبالشروط التي تحددها.
- الموقف من الرأي العام العالمي استخفافا وتجاهلا.

واليوم فإن اليمين المسيحي يشكل صلب الإدارة الأمريكية الحالية والحزب الجمهوري الحاكم، إضافة إلى تطلعاتهم للهيمنة والتوسع والانفراد بالقرار الدولي، مؤمنين بأن إسرائيل أرض الميعاد التي وعد الرب اليهود بها، وهم مهووسون بعقيدة عودة المسيح المشروطة باجتماع اليهود في فلسطين. ومهووسون بحرب الألفية (هرمجدون) التي سيبيد فيها المسيح المنتظر قوى الشر.

لقد استخدمت الإدارة الأمريكية الكلمات والشعارات والعبارات الدينية، وما زالت مستمرة في ذلك في ذروة حديثها عن حربها ضد الإرهاب؛ مثل: محور الشر، والحروب الصليبية، والحرب المقدسة، والعدالة المطلقة، وذلك من أجل استثارة الحس الديني للتأثير فى المواطنين هناك لتحقيق أهدافها.

فالرئيس بوش يرى أن الحرب على العراق هي "مهمة إلهية" يقوم بها من أجل عالم أفضل.

ولعل أشد عبارات التنديد المسيحية بسياسة الرئيس بوش الابن، وردت على لسان البابا يوحنا بولس الثاني، ثم إن البيان الذي صدر في الخامس من شباط عام ٢٠٠٣م عن المؤتمر المشترك لمجلس الكنائس العالمي، ومؤتمر الكنائس الأوربي والمجلس الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، عن حق البيان المسيحي المبدئي الجامع والرافض للحرب على العراق، بوصفها حربا غير مبررة أخلاقيا أو دينيا، وقد ندد البيان بمبدأ اللجوء إلى القوة العسكرية بدلاً من المساعي السياسية لحل الخلافات.

الخاتمة والنتائج والتوصيات:

من خلال ما تقدم يمكننا القول: إن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، لم تكن في أي وقت منذ عام ١٩٤٨م الوجه الآخر للسياسة الإسرائيلية كما هي اليوم، وإن المواقف الكنسية أكدت زيف أي ادعاء بأن الحرب الأمريكية كانت حربا صليبية جديدة، لقد كانت حربا على العرب، مسلمين ومسيحيين؛ ومن ثم كانت حرباً ضد القيم الإسلامية والمسيحية على حد سواء، وإن عد هذه الحرب الظالمة حربا صليبية، يوحي بأن أهلنا وإخواننا المسيحيين العرب، هم في موضع المتهم أو الشريك، في حين الحقيقة أن المسيحي العربي لا يحتاج إلى شهادة في الالتزام بوطنيته وبقوميته من أي أحد.

لذا لابد من الإشارة إلى الآتي:

١- أن الدين غالبا ما يستدعى للتغطية على المصالح السياسية، فالأديان جميعا تدعو إلى المحبة والتسامح ونبذ الخلاف؛ لذا فإن العدوان والإرهاب عمل منبوذ في الأديان كافة.

٢- يرى الباحث أنه لا مصلحة للعالمين العربي والإسلامي في استعداء أمريكا، أو في إفساح المجال أمام إسرائيل للانفراد بصداقتها، ومن ثم لتأليبها ضد قضايانا ومصالحنا، مع الاحتفاظ بحقنا في كره الإدارة الأمريكية الحالية وأعوانها ومؤيديها من المسيحيين الصهيونيين، وتجار الحروب وأمثالهم. ولابد لنا من تذكيرهم بكلام الرئيس الأمريكي بنيامين فرانكلين الذي يعد أحد زعماء الاستقلال، والذى قال في أثناء وضع الدستور الأمريكي سنة ١٧٨٩م: "في كل أرض حلّ بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي، وأفسدوا الذمة التجارية فيها...".

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية

المراجع

1-CATHERINE L.; ALBANESE AMERICA.; RELIGIONS RELIGIONS., 1992- California: Wads Worth Publishing Company, Second Edition, 11-14.

٢ــ مرقس سمير،٢٠٠٢: الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية (قانون الحرية الدينية نموذجا)، الإمبراطورية الأمريكية، ج ٣، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣.

٣ــ هلال رضا، ٢٠٠١: الدين والسياسة في أمريكا علمانية أم متينة، الإمبراطورية الأمريكية، ج١، القاهرة، مكتبة الشروق، ٢٤٥- ٢٤٧.

٤ــ لمعي إكرام، ٢٠٠١: التنوع الديني في أمريكا، الإمبراطورية الأمريكية، ج ١، القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠٦، ٢٠٥.

٥ــ حقائق الدين والسياسة في أمريكا، شبكة النبأ، الأحد ٢٠٠٤/٦/٢٧.
www.annabaa.org

٦ــ السماك محمد ،٢٠٠٣: الدين في القرار الأمريكي، بيروت، دار النفائس، ١٦، ٧٧، ٥٤، ١٠٥، ١٠٦.

٧ــ الهذلول صالح بن عبد الله، الصهيونية المسيحية: سر تبني أمريكا لمشاريع اليهود، www.albayan-magazine.com

٨ــ هالسل غريس، ٢٠٠٠: يد الله، ترجمة: محمد السماك، القاهرة، دار الشروق، ٦٨-٧١.

٩ــ هلال رضا، ٢٠٠١: الدين والسياسة في أمريكا المسيح الأمريكي وصهيون، الإمبراطورية الأمريكية، ج٢، القاهرة، مكتبة الشروق، ١٩٣-١٩٧.

10-WALTER LAQUEUR., 1972- A History of Zionism London, Weidenfed Nicolson, 580.

11-DONALD E.W.,1995- Anxious for Armageddon, Waterlow, Ontario, Herald Press, 81-88.

12-COLIN CHAPMAN., 2002- Whose promised land, Israel or Palestine? revised edition (Oxford, Lion), 274.

١٣ــ هالسل غريس، ٢٠٠٣: النبوءة والسياسة، ترجمة: محمد السماك، ط ٥، ٧٦- ٨٨.

١٤- صقر عبد العزيز، ١٩٨٩: دور الدين في الحياة السياسية في الدولة القومية. رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، ٢٧٨-٢٧٩.

15- HENRY FEINGOLD.; 1974- Zion in America, Hippocrene Books, 198.

١٦ــ الشريف ريجينا، ١٩٨٥: الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ١٧٨.

17-WALTER RIGGANS., 1995- The Messianic Community and the Hand Shake, Shalomi, 250.

١٨ــ المسلاتي مختار خليل، ١٩٨٦: أمريكا كما رأيتها، ط١، الكويت، مكتبة المعلا، ٣٦٧.